فضائل الإخلاص في العمل والعبادة كلها

إخوة الإيمان: اعلموا أن الإخلاص في العملِ، هو بمنزلةِ الأساسِ للبنيانِ، وبمنزلةِ الرُّوحِ للجسدِ، فلا عبادةَ ولا عبوديةَ لمن لا إخلاصِ له، قال اللهُ سبحانه وتعالى مخبراً عن أعمال الكفار التي لا إخلاصَ فيها ولا توجيهَ، يقول ربنا: وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً، فهذا الإحباط للعمل، والإبطال للسعي نصيبُ كلِ من لم يخلِص لله تعالى في قوله وعمله، قال الله سبحانه وتعالى: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، أيها المؤمنون، يشترط لقبول العمل شرطان: الأول: أن يكون خالصاً لله تعالى لا يقصد به إلا وجهه، والثاني: أن يكون العمل في ظاهره مشروعاً أي موافقاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الفضيل بن عياض رحمه الله: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يُقبل،لم يُقبل حتى يكون خالصاً صوابا، والخالص إذا كان لله عز وجل، والصواب إذا كان مشروعا أي على السنة، ويُعبر العلماء عن هذين الشرطين بقولهم: الإخلاص والمتابعة، عباد الله: أخلِصوا أعمالَكم للهِ، فإن اللهَ أغنى الشركاءِ عن الشركِ، وهو يعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تخفي الصدورُ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قيل، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، نعوذ بالله من حال أهل النار، هؤلاء عملوا ولكن ينقصهم الإخلاص لذا ما نفعهم، أيها المؤمنون، إن من أعظمِ أسبابِ غيابِ الإخلاصِ في أعمالِ كثيرٍ منَّا هو طلبُ الدُّنيا ومحبةُ المدحِ والثناءِ، فإن الإخلاصَ لا يقرُّ في قلبٍ مليءٍ بمحبةِ المدحِ والثناءِ والطمعِ فيما عند الناسِ، أيها المؤمنون، إنَّ مما يعينُنا على تركِ الطمعِ ويسهله علينا يقينُنا أنَّ الخيرَ كلَّه بيدِ اللهِ تعالى، لا يملِكُه غيرُه، فمن أرادَه طلبَه منه، وأما الزُّهدُ في الثناءِ والمدحِ فيسهِّلُه علمُك أنه ليس أحدٌ ينفعُ مدحُه ويزينُ، ويضرُّ ذمُّه ويشينُ إلا اللهُ تعالى، فازهدْ يا عبدَ اللهِ في مدحِ من لا يزينُك مدْحُه، وفي ذمِّ من لا يشينُك ذمُّه، وارغبْ في مدحِ مَن كلُّ الزَّيْنِ في مدحِه، وكلُّ الشَّينِ في ذمِّه، فجاهِدوا يا عبادَ اللهِ أنفسَكم حتى تكونوا من أهلِ الإخلاصِ، الذين أعمالُهم كلُّها للهِ وحدَه، لا يُريدون بذلك من الناسِ جزاءً ولا شكوراً،عباد الله: إن لإخلاصِ العملِ فوائدَ كثيرةً، منها: أن الأقوالَ والأعمالَ لا تُقبلُ مما حسُنَ أداؤُها إذا لم يصاحبْها إخلاصٌ للهِ تعالى: فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إنَّ اللهَ لا يقبلُ من العَمَلِ إلا ما كانَ خالِصاً لله، وابتُغيَ به وجهُه، وفي حديثِ أبي هريرة رضي الله عنه في وصفِ أسعدِ الناسِ بشفاعةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم يومَ القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال: لا إلهَ إلا اللهُ خالصاً من قلبِه دخل الجنة، فالإخلاصُ أعظمُ ما يُعينُ العبدَ على القيامِ بالحقِّ، إن اللهَ يقولُ للشيطان: إِنَّ عِبَادِي أي المخلِصين والمخلَصين لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ، وقد بيَّن اللهُ سبحانه هؤلاء العباد في قوله: إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ، وقال تعالى في حديثه عن يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام: كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ، والمخلَصون ليسوا هم المخلِصون ،فإن المخلَصين هم الذين أخلصهم الله واصطفاهم واختارهم لطاعته؛ كما قال تعالى: إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ، والمخلِصون الموحِّدون هم محفوظون بحفظِ اللهِ لأنهم أخلصوا أعمالهم وأقوالهم لله تعالى، فهم الذين أخلصوا لله تعالى في أعمالهم فعبدوه مخلِصين له الدين، ومن فوائد الإخلاص: أن العملَ القليلَ مع الإخلاصِ سببٌ للفوزِ برضا الله تعالى، ومن أمثلةِ ذلك قولُه صلى الله عليه وسلم: اتق النارَ ولو بشقِّ تمرة، فشِقُّ التمرةِ مع الإخلاصِ يقي النارَ بمنَّةِ الكريم المنان، كما أن كثيرَ العملِ مع الرياءِ يولجُ العبدَ أسفلَ النيرانِ كما قال العزيزُ القهارُ: إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً لأن أعمالهم كانت رياءاً وسمعة، ومن فوائدِ الإخلاصِ: أن الأعمالَ تتفاضلُ بتفاضُلِ ما في القلوبِ من التوحيدِ والإخلاصِ، فتكونُ صورةُ العمَلَيْن واحدةً، وبينهما من التفاضل كما بين السماءِ و الأرضِ، كما في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إنَّ الرَّجلَ لينصَرِفُ من صلاته وما كُتِبَ لَهُ إلَّا عُشرُ صلاتِهِ تُسعُها ثُمنُها سُبعُها سُدسُها خُمسُها رُبعُها ثُلثُها نِصفُها، ومنهم من لا يكتب له منها شيء أي: لا يكونُ له مِن أجْرِها إلَّا قَدْرُ ما عَقَلَ مِنْها، وقدْرُ ما خشَع فيها، وما أدَّى مِن شُروطِها وأركانِها، وإخلاصه لله فيها، وهذا الاختِلافُ يَدُلُّ على اختِلافِ أجْرِ المُصلِّين حسب الإخلاص، أيها المؤمنون، أخلصوا لله رغبتَكم وعملَكم، فإنه لا يُضيع عمل المخلِصين، أخلِصوا للهِ سبحانه وتعالى كل أقوالكم وأفعالكم، فإن الإخلاصَ سببٌ لقوةِ القلبِ، وثباتِ اليقينِ عند توافُرِ الفِتنِ والزَّيغِ، فهذا نبيُّنا صلى الله عليه وسلم لما كَمَّلَ مراتِبَ الإخلاصِ أنزلَ اللهُ على قلبِهِ السكينةَ، فثبَّت فؤادَه ونصرَه على أعدائِه، فالعبدُ يُنصرُ بإخلاصِه للهِ تعالى، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: إنما يَنصرُ اللهُ هذه الأمةَ بضعيفِها، بدعوتِهم وصلاتِهم وإخلاصِهم، فالإخلاصُ والصِّدْقُ مع اللهِ يُعينُ العبدَ على النُّهوضِ بالحقِّ، والقيامِ به، والدعوةِ إليه مهما عظمت قوةُ الباطلِ، فاجتهدوا أيها المؤمنون في إخلاصِ العَمَلِ للهِ، عسى أن تحصِّلوا تلك الفضائلَ والمناقبَ التي أعدها الله للمخلِصين ،اللهمَّ إنا نسألك الإخلاصَ في القولِ والعملِ.

خطبة الجمعة ليوم 07 فبراير 2025 م